عروة بن الزبير
أعـلام التابعيـن

عروة بن الزبير

هو أبو عبد الله عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب القرشي الأسدي [1]؛ هو أحد الفقهاء السبعة بالمدينة وأبوه الزبير ابن العوام أحد الصحابة العشرة المشهود لهم بالجنة وهو ابن صفية عمة النبي صلى الله عليه وسلم. وأم عروة هي أسماء بنت أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، هي ذات النطاقين وإحدى عجائز الجنة، وعروة شقيق أخيه عبد الله بن الزبير، بخلاف أخيهما مصعب فإنه من أم أخري غير أسماء، سمع الحديث من خالته عائشة أم المؤمنين، رضي الله عنها، وروي عنه ابن شهاب الزهري وغيره.

كان عالماً صالحاً.

وكان لعروة من الأولاد عمر بن عروة، وقتل مع عبد الله بن الزبير، وكان مشجعاً، وأمه هي فاختة بنت الأسود بن أبي البختري بن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزي بن قصي وأمها: أم شيبة بنت حكيم بن حزام وأمها هي زينب بنت العوام.

وعبد الله بن عروة وكان أسن بني عروة، وبه كان يكنى، وبلغ خمساً أو ستاً وتسعين سنة، لم يكن بينه وبين أبيه إلا خمس عشرة سنة. وكان له عقل وحزم ولسان وفضل وشرف. وكان يشبه عبد الله بن الزبير في لسانه، وكان عبد الله بن الزبير يعرف ذلك له[2].

ومن ولد عروة بن الزبير يحيى، ومحمد، وعثمان، بنو عروة بن الزبير وأمهم: أم يحيى بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس.

وحدث أن عروة بن الزبير تخلف يوماً عن الدخول على الوليد بن عبد

(1) ترجمته في طبقات ابن سعد 2 / 247، وصفة الصفوة 2 / 176، ووفيات الأعيان، 1/ 103.
(2) الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش وأخبارها (1 / 61).

الملك، فأمر أبنه محمداً بالدخول عليه، وكان حسن الوجه، فدخل عليه، وله غيدرتان، في ثياب وشيٍ، وهو يتبختر يضرب بيديه، فقال الوليد: هكذا والله التغطرف، وهكذا تكون فتيان قريش! فعانه. فقام من الليل متوسناً، فوقع في إصطبل الدواب، فلم تزل تطوه حتى مات.

وقال مصعب بن عبد الله: توفي محمد بن عروة مع أبيه، وعروة يومئذ عند الوليد بن عبد الملك، وفي ذلك السفر أصيبت رجل عروة.

وكان محمد بن عروة من أحسن الناس، وكان عروة يحبه حباً شديداً. قال: فنام محمد بن عروة على سطح فيه جلى، فقام من الليل فسقط من الجلي في إصطبل الدواب، فتخبطته حتى مات. وكان الماجشون مع عروة بالشأم، فكره أصحاب عروة وغلمانه أن يخبروه خبره، فذهبوا إلى الماجشون فأخبروه. فجاء من ليلته فأستأذن على عروة، فأذن له في مصلاه، فقال له: هذه الساعة! قال: نعم، يا أبا عبد الله، طال الثواء وذكرت الموت، وزهدت في كثير مما كنت أطلب، وخطر ببالي ذكر من مضى من القرون قبلي. فجعل الماجشون يذكر فناء الناس وما مضى، ويزهد في الدنيا، ويذكر بالآخرة، حتى أوجس عروة فقال: قل فيما تريد، فإنما قام من عندي محمد آنفاً! فمضى في قصته ولم يذكر شيئاً، ففطن عروة فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، واحتسبت محمداً عند الله. فعزاه الماجشون عليه، وأخبره بموته.

قال مصعب بن عثمان: وفد يحيى بن عروة على عبد الملك بن مروان، فجلس ببابه، فسمع حاجب عبد الملك يتناول من عبد الله بن الزبير، فضرب يحيى وجه الحاجب فأدماه. فدخل الحاجب على عبد الملك فقال: من فعل بك؟ فقال: يحيى بن عروة. قال: أدخله. فأدخله وقد استوى عبد الملك على فراشه، فقال ليحيى: ما حملك على ما صنعت بحاجبي؟ فقال له يحيى: عمي عبد الله بن الزبير رحمة الله عليه، كان أحسن جواراً لعمتك منك لنا، والله إن كان ليقول لها: " من سب أهلك فسبي أهله "، وإن كان لينهي حامته وحشمته أن يسمعوها فيكم قذعاً، أنا والله المعم المخول، تفرقت العرب عن عمي وخالي، فكنت كما قال الشاعر:

يَـدَاهُ أصَـابَتْ هـذِهِ حَتْـفَ هـذِهِ ⁝ فلَم تَخْتَرِ الأخْرَى عَليها مُقَدَّمَا

قال: فاضطجع عبد الملك، ولم يزل يعرف ذلك فيه، إكراماً ليحيى ابن عروة.

ومن ولد عروة بن الزبير أيضا هشام بن عروة وأمه أم ولد.

من أقوال عروة:

وكان يصف التواضع ويقول: التواضع أحد مصايد الشرف [1].

كان رضي الله عنه يقول لنفسه: إذا دخل الليل قومي يا مأوي كل شيء، والله لأدعنك تزحفين زحف البعير، فكان يصبح وقدماه منتفختان فيقول لنفسه: بذا أمرت ولذا خلقت.

وكان رضي الله عنه يقول: لا خير فيمن لا بجمع الدنيا يصون بها دينه وجسمه ويصل بها رحمه.

ومن أقواله: ما فاتتني فريضة في جماعة منذ أربعين سنة، وما أذن المؤذن منذ ثلاثين سنة إلا وأنا في المسجد وصلى رضي الله عنه الصبح بوضوء العشاء خمسين سنة.

وكان يقول: وقد أتت عليه أربع وثمانون سنة ما شيء أخوف عندي من النساء.

ومن أقواله: الناس كلهم تحت كنف الله يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله عز وجل فضيحة عبد أخرجه من تحت كنفه، فبدت للناس عورته.

وكان رضي الله عنه يقول: لا تملؤوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بالإنكار من قلوبكم لكي لا تحبط أعمالكم الصالحة.

وضربه عبد الملك بن مروان وألبسه المسوح، وطاف به أسواق المدينة حين امتنع من مبايعته، ومنع الناس من مجالسته فكان يقول: لا أحد يجالسني فإنهم قد

(1) ابن قتيبة، عيون الأخبار، 113/1.

جلدوني ومنعوا الناس من مجالستي فيرجع الناس عنه.

وكان رضي الله عنه يقول: لا تقولوا مسيجداً، ولا مصيحفاً بالتصغير فتصغروا ما كان لله تعالى، فهو عظيم جليل.

ومن أقواله: من استغنى بالله افتقر الناس إليه، وكان الناس يستأذنون عليه من هيبته كما يستأذنون على الأمراء.

وكان يقول: ليس من شريف ولا عالم ولا في فضل إلا وفيه عيب، ولكن من الناس من لا ينبغي أن تذكر عيوبه، فمن كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله رضي الله عنه [1].

ومن أقواله: إذا رأيتم من رجل حسنة فأحبوه عليها، واعلموا أن لها عنده أخوات، وكذلك إذا رأيتم منه سيئة فأبغضوه عليها، واعلموا أن لها عنده أخوات.

وكان رضي الله عنه يقول: كان داود عليه السلام يصنع القفة من الخوص، وهو على المنبر، ثم يرسل يبيعها ويأكل منها.

ولما اعتزل في قصره بالعقيق، وترك مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: في ذلك فقال: رأيت مساجدهم لاهية وأسواقهم لاغية والفاحشة في فجاجهم عالية، فكان فيما هنالك عماهم فيه عافية.

وكان رضي الله عنه يقول لأولاده: تعلموا العلم فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبار قوم آخرين، ما أقبح الجهل ولا سيما من شيخ [2].

مواقف من حياة عروة :

إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأبي!! :

قدم عروة بن الزبير على عبد الملك بن مروان فدخل فأجلسه معه على السرير فجاء قوم فوقعوا في عبد الله بن الزبير فخرج عروة فقال للآذن: إن عبد الله بن الزبير ابن أمي وأبي، فإذا أردتم أن تقعوا فيه فلا تأذنوا لي عليكم، فذكر ذلك لعبد الملك بن مروان فقال له عبد الملك، قد أخبرني الآذن بما قلت، وإن

(1) الطبقات الكبرى للشعراني، 1 / 28.
(2) الأصفاني، الأغاني، 17 / 244.

أخاك لم يكن قتلنا إياه لعداوة، ولكنه طلب أمرا وطلبناه فقتل دونه، وإن الشام قوم من أخلاقهم ألا يقتلوا أحدا إلا شتموه، فإذا أذنا لأحد قبلك فقد جاء من يشتمه فلا تدخل وإذا أذنا لأحد وأنت جالس فانصرف.

كيف عرفته؟ :

ولما قتل أخوه عبد الله قدم عروة على عبد الملك بن مروان فقال له يوماً: أريد أن تعطيني سيف أخي عبد الله، فقال له: هو بين السيوف ولا أميزه من بينها، فقال عروة: إذا حضرت السيوف ميزته أنا، فأمر عبد الملك بإحضارها، فلما حضرت أخذ منها سيفاً مفلل الحد فقال: هذا سيف أخي، وقال عبد الملك: كنت تعرفه قبل الأن فقال: لا، فقال: كيف عرفته؟ قال: بقول النابغة الذبياني:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ∴ بهن فلولا من قراع الكتائب.

اللهم إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت.

ثم قدم عروة على الوليد بن عبد الملك حين شلت رجله فقيل له:

اقطعها. قال: إني لأكره أن أقطع مني طابقا، فارتفعت إلى الركبة. فقيل له: إنها إن وقعت في الركبة قتلتك فقطعت ولم يقبض وجهه وقيل له قبل أن يقطعها: نسقيك دواء لا تجد معه ألما فقال ما يسعني أن هذا الحائط وقاني أذاها.

وسقط محمد بن عروة بن الزبير وأمه بنت الحكم بن أبي العاص بن أمية من سطح في إصطبل دواب الوليد بن عبد الملك فضربته بقوائمها حتى قتلته فأتى عروة رجل يعزيه فقال عروة إن كنت تعزيني برجلي فقد احتسبتها فقال: بل أعزيك بمحمد قال وماله فخبره بشأنه فقال:

(وكنتُ إذا الأيّامُ أحدَثْنَ نكبةً ∴ أقول شَوًى ما لم يُصِبْن صَميمي)

اللهم أخذت عضوا وتركت أعضاء، وأخذت ابنا وتركت أبناء، فإنك إن كنت أخذت لقد أبقيت وإن كنت ابتليت لقد عافيت

فلما قدم المدينة نزل قصره بالعقيق فأتاه ابن المنكدر وقال كيف كنت فقال: {پپپپڀڀ} [الكهف: ٦٢].

يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق:

ثم إن عيسى بن طلحة جاء إلى عروة بن الزبير حين قدم من عند الوليد بن عبد الملك وقد قطعت رجله فقال عروة لبعض بنيه.. اكشف لعمك عن رجلي ينظر إليها ففعل فقال له عيسى: إنا لله وإنا إليه راجعون يا أبا عبد الله ما أعددناك للصراع ولا للسباق ولقد أبقى الله لنا منك ما كنا نحتاج إليه منك رأيك وعلمك فقال عروة: ما عزاني أحد عن رجلي مثلك.

تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض:

وكان أحسن من عزاه إبراهيم بن محمد بن طلحة وقال له: والله ما بك حاجة إلى المشي، ولا أربٌ في السعي، وقد تقدمك عضو من أعضائك وابن من أبنائك إلى الجنة، والكل تبع للبعض، إن شاء الله تعالى، وقد أبقى الله لنا منك ما كنا إليه فقراء، وعنه غير أغنياء، ومن علمك ورأيك، نفعك الله وإيانا به، والله ولي ثوابك، والضمين بحسابك.

اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه:

وقدم على الوليد بن عبد الملك رجل من عبس ضرير محطوم الوجه فسأله عن سبب ذلك فقال بت ليلة في بطن واد ولا أعلم في الأرض عبسيا يزيد ماله على مالي فطرقنا سيل فذهب بما كان لي من أهل ومال وولد إلا صبيا مولودا وبعيرا ضعيفا فند البعير والصبي معي فوضعته واتبعت البعير فما جاوزت ابني قليلا إلا ورأس الذئب في بطنه فتركته واتبعت البعير فرمحني رمحة حطم بها وجهي وأذهب عيني فأصبحت لا ذا مال ولا ذا ولد ولا ذا بصر فقال الوليد بن عبد الملك: اذهبوا به إلى عروة ليعلم أن في الناس من هو أعظم بلاء منه [1].

وعروة هذا هو الذي احتفر بئر عروة التي بالمدينة وهي منسوبة إليه وليس بالمدينة بئر أعزب من مائها.

(1) الأصفاني، الأغاني، 17 / 246.

وكان أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث حارساً لعروة حتى إنه أودع مالاً فأصيب؛ فقال له عروة: لا ضمان عليك! قال: قد علمتُ ولكن لا تتحدثْ قريش أن أمانتي خربت؛ فباع مالاً له فقضاه.

وقد قال مالك بن دينار: كفى بالمرء خيانة أن يكون أميناً للخونة، وكفى بالمرء شراً أن لا يكون صالحاً ويقع في الصالحين.

قال الحسن: قال الأحنف بن قيس: والله ما سمعت كلمة إلا طأطأت لها رأسي لما هو أعظم منها [1].

رحمة الله للعالمين! :

قال هشام بن عروة بن الزبير: عطس نصراني طبيب عند أبي فقال له: رحمك الله؛ فقيل له: إنه نصراني! قال أبي: رحمة الله على العالمين.

و كان عروة يتألف الناس على حديثه.

وكانَ زبيد الأياميُّ مؤذنَ مسجدِه، يقولُ للصبيان: يا صبيان تعالوا فصلّوا أهبْ لكم الجوزَ! فكانوا يجيئونَ ويصلّونَ ثم يحوطون حولَه! فقلنا له: ما تصنع بهذا؟! قال: وما عليَّ أشتري لهم جوزاً بخمسة دراهم ويتعودون الصلاة؟!.

قال عروة بن الزبير: إذا رأى أحدكم شيئاً من زينة الدنيا وزهرتها فليأت أهله وليأمرهم بالصلاة وليصطبر عليها، قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم :{ﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦ} [طه: ١٣١] الآية.

(1) لعل المراد أنه كان إذا عابه أحد بشيء، فإنه يذْكر من عيوب نفسه - عند سماعه لذلك - ما يراه هو أشد من ذلك العيب المذكور، فيطأطئ رأسه ولا يرد على ذلك العائب أو الشاتم بشيء، والله أعلم.
أو إنه إنما كان يسكت على أول كلمة ويصبر عليها لئلا يسمع ما هو أكبر منها أو أشد أو أكثر، وفي هذا المعنى روى البيهقي في (الشعب) (345/6) عن يوسف بن الحسين قال: سمعت سلمة يقول: قال شبيب بن شيبة: من سمع كلمة فسكت عنها سقط عنه ما بعدها، ومن أجاب عنها سمع ما هو أغلظ منها، وأنشأ يقول:
وتنفر نفس المرء من وقع شتمة ويشتم ألفاً بعدها ثم يسكت

أمرانِ لو لم نعذَّبْ إلا بهما لكنا مستحقينَ:

قال محمد بن سوقة: أمرانِ لو لم نعذَّبْ إلا بهما لكنا مستحقينَ بهما العذابَ: أحدُنا يزدادُ في دنياه فيفرحُ فرحاً ما علِمَ اللهُ منهُ قط أنه فرِحَ بشيءٍ قطُّ زِيدَ في دينِهِ مثله، وأحدُنا ينقصُ من دنياه فيحزنُ حزناً ما عَلِمَ اللهُ منه قط أنه حزنَ على شيء نقصه من دينِهِ مثله.

وقال عروة لبنيه: يا بَني لا يهدين أحدكم إلى ربه عز وجل ما يستحي أن يهديه إلى كريمه [1]، فإن الله عز وجل أكرم الكرماء وأحق من أُختير إليه [2].

وكان يقول: يا بني تعلموا فإنكم إن تكونوا صغراء قوم عسى أن تكونوا كبراءهم، واسوأتاه ماذا أقبح من شيخ جاهل؟! وكان يقول: إذا رأيتم خلة شر رائعة من رجُل فاحذروه وإن كان عند الناس رجلَ صدْقٍ، فإن لها عنده أخوات؛ وإذا رأيتم خلة خير رائعة من رجل فلا تقطعوا عنه إياسكم وإن كان عند الناس رجل سوء فإن لها عنده أخوات؛ وقالَ: الناس بأزمنتهم أشبه منهم بآبائهم وأمهاتهم.

أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة؟!.

ورأى عروة بن الزبير رجلاً يصلي فخفف فدعاه وقال: أما كانت لك إلى ربك سبحانه وتعالى حاجة؟! إني لأسأل الله تبارك وتعالى في صلاتي حتى أسأله الملح.

كان عروة بن الزبير إذا كان أيام الرطب يثلم حائطه ثم يأذن للناس فيه فيدخلون ويأكلون ويحملون، وكان ينزل حوله ناس من أهل البدو فيدخلون ويأكلون ويحملون، وكان إذا دخله ردد هذه الآية: {ڈڈڈڈژژڑڑکک} [الكهف: ٣٩].

الحمد لله الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا:

وكان إذا أتي بطعامه لم يزل مخمَّراً حتى يقول هؤلاء الكلمات: الحمد لله

(1) أي إلي من يريد إكرامه والإحسان إليه أو إلي منهو كريم عنده.
(2) الأحسن له.

الذي هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا؛ الله أكبر، اللهم ألفتنا نعمك ونحن بكل شر فأصبحنا وأمسينا منها بكل خير؛ أسألك تمامها وشكرها؛ لا خير إلا خيرك ولا إله غيرك؛ إله الصالحين ورب العالمين؛ الحمد لله لا إله إلا أنت ما شاء الله لا قوة إلا بالله اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار.

عن هشام بن عروة عن أبيه قال: يا بني سَلُوني فلقد تُركت حتى كدت أنسى وأني لأسأل عن الحديث فيفتح لي حديث يومي.

وعن أبي الزناد. قال: اجتمع في الحِجر قوم فقالوا: تمنوا. فقال عروة: أنا أتمنى أن يؤخذ عني العِلْم.

وقال عروة بن الزبير: رُبّ كلمة ذُلٍّ احتملتها أورثَتني عّزاً طويلا.

وكان عروة يقرأ ربع القرآن كل يوم نظراً في المصحف، ويقوم به الليل، فما تركه إلا ليلة قطعت رجله ثم عاود من الليلة المقبلة.

وقال هشام كان أبي لا يفطر ولقد مات يوم مات وهو صائم.

وأسند عروة عن علي بن أبي طالب عليه السلام والزبير وعبد الرحمن ابن عوف وسعيد بن زيد وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو وأبي أيوب الأنصاري وأسامة وأبي هريرة وابن عباس ومعاوية والمسور بن مخرمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن الأرقم وعائشة في خلق يطول احصاؤهم.

و توفى سنة أربع وتسعين في ناحية الفرع ودفن هنالك رحمه الله.

* * *